أين من كأسك اهرب ؟

كل من مد يداً لك بالعنقود

في زنزانة الخمر تعذب

اشربي لو مرة كأسي ،

فطول العمر من كأسك اشرب

ففلسطين هنا ليست ارضا ولا وطنا ولا قضية ... انها حالة تعتري الشاعر ، مرض روحي يحيل الشاعر الى مخلوق هو في المسافة الوسطى بين المسيح المصلوب والقاتل المنتقم . لذلك لا نرى رمز المسيح او الصلب يتردد كثيراً ، فهو يستعمله مرة واحدة في قصيدة الخل عام ١٩٦٣ . لكنه يكثر من الحديث عن « لصوص الصلبان » و( الله اورشليم ) وعن كل من قتلوا المسيح لان له ثأرا عندهم .

ولكي نرى الى اي حد تشكل فلسطين « حالا » وجودية تهز كيان الشاعر فيغدو غير من نعرف ، ادعي ان اسلوب الشاعر يتغير كلما مر ذكر فلسطين . ويتضح هذا التغير بصورة ملموسة في قصائده الفلسطينية اذ يصبح اسلوبها تشكيليا . بخلاف اسلوبه في قصائده عن العصر او الشعر التي تتميز اولاها بالهجاء وتاليتها بالسخرية . ولست ترى شاعرا يمكن ان تتغير طريقته في الاداء الشعري الا اذا كان في حال وصار في حال اخرى — بالمعنى الوجودي الذي يسلم بقدرة الانسان على الانسلاخ عن نفسه وبناء ذات اخرى . او حتى بمعنى الشيزوفرانيا غير الحادة حيث لا يؤدي فصام الشخصية الى انقطاع كلي بين الشخصيتين .

لسنتجمع ما وقر في نفوسنا من انطباع عن اسلوبه في العصر والشعر ثم نقارنه بهذه المقطوعة :

العين المخلب في الغاب

تبحث عن صيد ، والحداة

شاخت ، راحت تتوكأ فوق جناحيها

ذخر السوس المنقار

فهذا المطلع لقصيدة « غصن ليمون » عام ١٩٦٦ مبني على الطريقة التشكيلية في بناء اللوحة من مجموعة تفاصيل يكون كل منها وحدة بنائية ، ولو امعنا في تأمل القصيدة لوجدناها مشكلة عن قصد على هذه الصورة الموصوفة :

يا غصن الليمون الجوال

دارت كالطاحون

على الأجنحة الأيام .

وانتحب البلبل :